2007044444_0001a-2

■بوسطة عين الرمانة:
شرارة الحرب الاهلية

الحرب الأهلية في ذاكرة من عايشها:

مآس وويلات وتمنيات بعدم تكرارها

١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥، هذا التاريخ حفر مكانه وتركز بقوة في ذاكرة كل لبناني، تجسد بالدم بالدمار، الخطف، العذاب، الحرمان.. وهذه الصور واضحة المعالم في داخل قلب كل لبناني عاش ذلك اليوم الأسود أو السبت الأسود وهي موجودة أيضاً في المباني المصدعة التي طالتها حرب القناصين خصوصاً تلك التي كانت تتصل ما بين ما كان يسمى بـ«الشرقية والغربية».. وان كانت تلك المباني قد رممت أو حتى سدت فجواتها إلا ان القلوب ما زالت تنزف حتى الآن وترتجف خوفاً من ان يعيد التاريخ نفسه.. على أمل أن «تنذكر وما تنعاد وممنوع تنعاد».

١٣ نيسان/ابريل يمر هذا العام في خضم تخبط وتأزم على الساحة السياسية.. وطعم ١٣ نيسان/ابريل هذا يختلف عن الاعوام السابقة وكأن شرارات الدخان الأسود على وشك أن تنبعث منه حتى ان البعض بدأ يدق نواقيس الخطر في ظل الانقسامات السياسية والطائفية.. فأصبحت المقارنة ما بين الحاضر والماضي أمراً بديهياً ولا بد منه. وأصبح كل مواطن لبناني محللاً سياسياً يقرأ الحاضر ويستشرف المستقبل.

كان المشوار طويلاً مع الحرب الأهلية التي كانت شرارتها الأولى في ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ عندما حصلت مجزرة عين الرمانة التي هوجمت فيها أحدى الحافلات المدنية وفيها ركاب فلسطينيون ما أدى إلى مصرع ٢٧ شخصاً.. فكانت أطراف

2007044 11 -0001b -2

■ ما تبقى من بوسطة عين الرمانة اليوم

النزاع: القوات اللبنانية، حزب الكتائب اللبنانية، حزب الوطنيين الأحرار، منظمة التحرير الفلسطينية، حركة أمل، الحركة الوطنية اللبنانية، الحزب التقدمي الاشتراكي وغيرهم.

.. فكانت الحرب التي بدأت مع عمليات خطف عشوائية حتى رصاص القناصين الذين انتشروا على أسطح الأبنية العالية، ثم رفعت المتاريس من أكياس الرمل والأسلاك الشائكة فبلغ عدد ضحايا السبت الأسود ١١٠ قتلى و٣٠٠ مخطوف ما زال مصيرهم حتى الآن مجهولاً.

وبوسطة عين الرمانة ما زالت شاهدة على الشرارة الأولى للحرب وقد أصبحت معلماً من معالم لبنان فأحيطت بالحرس ويمنع الاقتراب منها بعد ان وضعت في باحة سباق الخيل في منطقة الطيونة وزارها الصغار قبل الكبار واللافت هو ان إحدى السيدات التي فقدت اثنين من أولادها حضرت إلى المكان خصيصاً كي تقف أمام البوسطة وتسترجع ذكرياتها علها تشم رائحتهما في حناياها.

ولكن اليوم كيف يعيش اللبنانيون هذه المرحلة وكيف عايش الذين سبقوهم تلك المرحلة الملطخة بالدم.

قلوب صدئة

السيدة وداد حلواني رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان تعيش تلك المأساة يومياً لأنها تركت أثراً بالغاً في حياتها وحياة المحيطين بها بعد ان أفقدتها بعلها منذ العام ١٩٨٢ وبالرغم من متابعتها لتلك القضية على مستوى عال إلا انها لم تصل إلى نتيجة أو حتى إلى أية مبادرة قد تضعها في شط الأمان. وتقول السيدة حلواني: لهذا العام اكتفينا بمؤتمر صحافي عقدناه وقررنا أن نريح الأمهات من الكاميرات فكان هذا التجمع لإحياء ذكرى الحرب الأهلية.

وهي على أمل أن تصل إلى نتيجة بعد كل سنوات الانتظار ولن تنسى تاريخ ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ حينما اختطف بعلها تحت شعار إجراء تحقيق معه..

وقفت السيدة حلواني أمام بوسطة عين الرمانة تتأملها لتقول: هذه البوسطة كانت شرارة الحرب الأولى.. انظري إلى البوسطة كيف أصبحت صدئة، فهذه البوسطة تشبه كل من عايشوها وقلوب كل أمهات المفقودين تشبهها.. الحديد أصبح على هذه الحالة فكيف بقلب الأم.

السيدة حلواني تخشى من حرب أهلية ثانية وتعلق: دائماً نقول تنذكر وما تنعاد، ولكنني أشعر انها سوف تتكرر في يوم من الأيام للأسف وسوف تنذكر وتنعاد. البعض يعتقدنا وينظر إلينا على اننا من الماضي، فأخشى أن يصبح هناك أهالي مخطوفين ومفقودين جدد.

وداد حلواني فقدت أحلامها في الحرب: فقدت منزلها والدفء والعاطفة ولم تحمل سوى الهم والتعب والأسى وربت أولادها الذين كانت أعمارهم حينذاك ٣ سنوات و٦ سنوات دون أب

■ أم وقفت أمام «بوسطة عين الرمانة» لتشم رائحة ولديها اللذين فقدتهما فيها

■ وداد حلواني: هذه البوسطة الصدئة تشبه قلوب أمهات المفقودين

■ تيريز شحود كنت أخرج تحت القصف لإحضار الطعام لأولادي وأتساءل إذا كنت سأعود إلى المنزل

20070411 -0001C-2

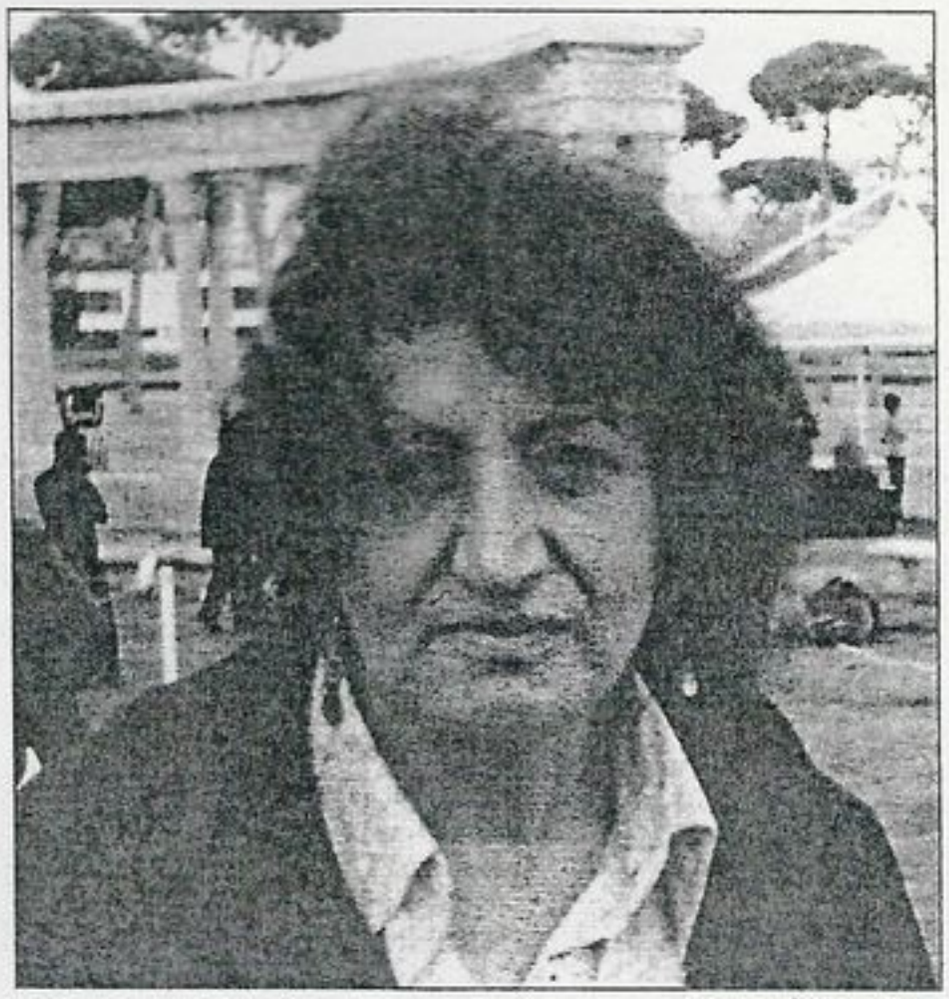

■ تيريز شحود

فجأة سرقوه منها. وتتساءل في الختام: الكل يقول لا نريد الحرب وفجأة نشاهد بوادرها بأم العين فمن يريد الحرب إذن سوى القيمين علينا والجالسين على الكراسي.. الحرب الآن أشبه بـ«فزيعة»، والمسؤولون يخيفوننا من الحرب.

رعب القناص

تيريز شحود عايشت بدورها الحرب وما زالت تقول «تنذكر وما تنعاد» فهي تخشى أن تذوق مرارتها مرة أخرى خصوصاً انها غير مستعدة لدفع ثمن حرب هي والمحيطون بها يرفضونها. رجعت تيريز بذاكرتها إلى الوراء فنقلتنا إلى أجواء الـ٧٥ المتوترة لتصف لنا مشاهدها وهي تستحضرها بألم لتقول: عشنا تلك الفترة بخوف ورعب، عندما كنا نخرج لجلب الأغراض كنا نخاف من القناص وحتى كنت أتساءل ما إذا كنت سأعود وأجد أولادي في المنزل والبيت غير مهدم عليهم.

لقد كانت حرباً مؤلمة، والقذيفة لم تكن تفرق بين المسلم والمسيحي، الكل كان معرضاً حينها. لذلك الشعب يرفض تلك الحرب.. كنت أخرج أثناء القصف لأحضر الطعام لأولادي وألبي استغاثاتهم. وتتساءل تيريز: ماذا حققنا من الحرب غير الخراب والدمار، ولكن مع ذلك أنا أتأمل خيراً لأن من يطالب بالحرب هو إنسان جاهل وينادي بالجهل وأنا أرفض الحرب التي خسرت فيها أعز أصدقائي وأعز رفاقي وهذا أعظم ما يمكن أن يفقده المرء. «الرجعة إلى الوراء ممنوع».

أيام سوداء في الملجأ

السيدة رفيقة فارس كانت تجلس على مقعد حجري وفي ملامحها معان كثيرة لسنوات من الأسى والعذاب مرت عليها وعايشتها.. وحينما نسألها عما تتذكره من الحرب تقول: ماذا يمكن أن أتذكر غير الملجأ والأيام المرة والسوداء. لقد قضينا أياماً أليمة في الملاجىء بين الأخشاب ورائحة الرطوبة.. انها مشاهد لا يمكن وصفها، صحيح انني لم أخسر أرواحاً في عائلتي وخسرت منزلي إلا انني لا يمكن أن أنسى تلك السنوات.

■ وداد حلواني

لقد بدأت الحرب بعد شهر وعشرة أيام من زواج ابني.. وفي تلك الليلة هربنا في طريق وعرة ومخيفة جداً وبقيت مدة سبعة أشهر لا اعرف شيئاً عن منزلي في طرابلس ما إذا دمر أم لا وخلال تلك الفترة سافرنا إلى سوريا، فالأردن ومصر..

«نحن اخوة وسنبقى اخوة»، تعلق السيدة رفيقة لقد تربيت بين المسلمين ولا نعرف الحرب الطائفية وكلنا اخوة وأولاد الوطن وأولاد آدم وحواء. وأخشى أن يتكرر هذا المشهد مجدداً.

شهادة مقاتل

جورج نصرالله عايش الحرب الأهلية قتالاً وشاهداً وسلماً.. هكذا بدأ حديثه معنا وهو يتساءل ماذا عساه أن يتذكر. ولكنه تذكر ليقول: عايشت الحرب في الاجتياح الإسرائيلي وما بعده لأنني أنتمي إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي.

ويضيف جورج: هنا في منطقة سباق الخيل كان الحزب متمركزاً في حاجز خاص به، حيث كنا نريد أن نمنع النواب من الدخول إلى الشرقية لينتخبوا، أما بالنسبة للمواطنين فكنا نعاملهم بطريقة جيدة. وأنا حضرت إلى هنا لأتذكر (ويشير بيده إلى إحدى الشجرات) ليقول: تحت هذه الشجرة كان الحاجز.

وقد خسر جورج بعض أصدقائه ورفاقه في الحزب بعد ان استشهدوا.. ومع ذلك فهو لم ينس كيف كان يختبىء في الملجأ وينقطع أهله من الخبز وكيف كانت والدته تصنع أي الخبز على «بابور الكاز» وكنا نخترع الشمع كي نضيء على أنفسنا وكنت أقطع من قرية لقرية كي أحضر الخبز.

ومع ذلك فإن جورج لا يخشى من حصول حرب أهلية وهو بالتالي غير مستعد لحمل البارودة مجدداً بعد ان أصبح أباً لعائلة كبيرة. أما عن قضيته فيقول: قضيتي أناضل لأجلها بفكري وغيري يمكن أن يحمل بارودة لأن ابن ٤٣ عاماً لا يمكن أن يحمل بارودة.

20070404-0001d-M

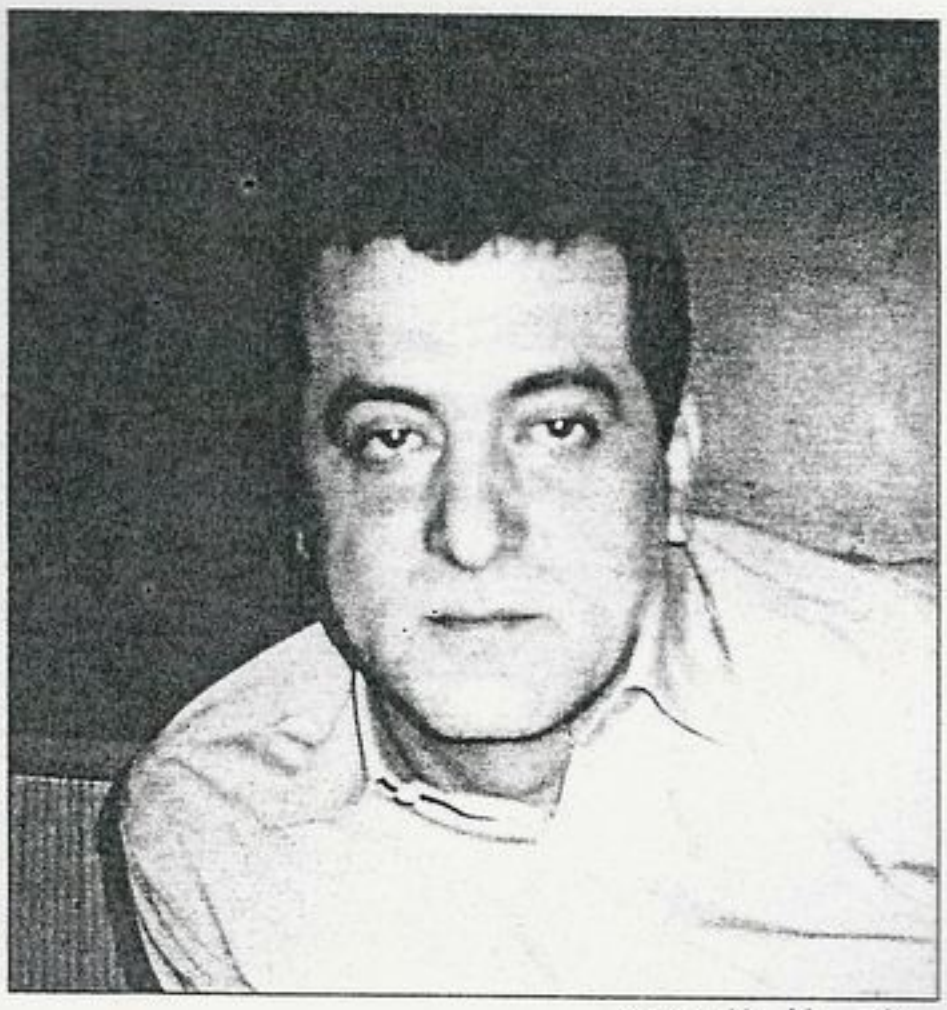

■ الصحافي بلال خبيز

الصحافي المحارب

الصحافي بلال خبيز كان علماً من أعلام الحرب ومقاتلاً من الدرجة الأولى فهو ينتمي إلى منظمة العمل الشيوعي.. يروي خبيز تجربته مع الحرب فيقول: كانت الحرب عبارة عن نظام حياة وكنت حينها صغيراً وكانت المراكز الاجتماعية تحدد بناء على دور كل شخص في الأحزاب فالمقاتل أعلى رتبة من الشخص الذي يتعلم في المدرسة والمتعلم والحزبيون هم وجهاء المدن والقرى، «سلطة بحد ذاتها». الحرب خطرة على الناس أكثر من المقاتلين لأن المقاتلين وبطريقة من الطرق يمكن أن يعرفوا مصدر القصف.

وينتقل خبيز إلى التكتيك الذي كان يستخدم آنذاك: بعد العام ١٩٧٨ كانت الحرب حرب مواقع بين المقاتلين بمعنى لم يعد هناك اقتحامات بل تمركزت على شرقية وغربية ومناطق تماس.

ولا يعتبر خبيز ان الشباب يتجنبون الحرب لانها حينما تصبح نظام حياة تكون أهون وسيلة للترقي الاجتماعي فيكون لديهم سلطة في الحي والمحيط. تركت المنظمة في العام ١٩٨٧ والآن لا أنتمي إلى أي حزب.. فلا أحد يفهم على أحد وتركيبة البلد معقدة جداً مثلاً مقاومة إسرائيل في الجنوب هي شيعية وحتى فكرة إنشاء مقاومة وطنية هي شائكة جداً.. حتى علاقتنا مع سوريا ان لم يوافق عليها السنة لن تحصل.

حتى لو تكرر العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان فإن خبيز غير مستعد لحمل البندقية. ويقول: ليست المشكلة في مقاومة إسرائيل أو عدم مقاومتها، بل المشكلة هي من يقاوم إسرائيل.. فالمقاومة بعد الانسحاب الإسرائيلي كانت مربكة لأنها فقدت مبرر مقاومتها ومنذ تلك الفترة حتى الآن تبحث عن احتلال لكي تقاومه.. وعلى مستوى آخر أنا لست مستعداً أن أقاوم إسرائيل بمقاومة سنية أو أخرى شيعية، فالمقاومة لها أسس المهم أن ترحل إسرائيل ويبقى البلد لا أن يزول.

من دون شك اننا قدمنا إنجاز التحرير ولكننا متشاجرون حول المسائل الأساسية في البلد فأنا مع تأسيس المقاومة ولكن ضمن شروط. أما عن الحرب الأهلية وتخوفه منها يقول بلال خبيز: الحرب الأهلية قائمة لم أتخوف منها فالحرب ليس بالقنص والسلاح فقط. كل الحوادث الأمنية قد تؤدي إلى حرب والحوادث الأمنية لم تتوقف حتى الآن. ومع ذلك فإنه غير مستعد لحمل السلاح مجدداً ويتساءل: لماذا أحمل السلاح، الحرب الأهلية الأولى كان لها أسبابها وهذه الحرب هي عودة للكهوف.. فجيلنا خسر كل شيء من مدارس وجامعات، كان عمري ١٣ عاماً حينما بدأت مسيرة القتال، لأنني كنت أقرأ بأن الأبطال الذين يتكلمون عنهم في المجالس هم من المقاتلين.. وأنا أروي لأولادي كل تجاربي.. فالحرب الأهلية لم تكن مخيفة لهذه الدرجة قياساً بالاجتياح الإسرائيلي.

وفي الختام اعتبر خبيز ان الشعب مقسوم إلى شعبين عميلين، ولا يمكن التكلم مع أحد.. الشباب ينساق إلى الحرب لأن الحرب بالنسبة إليهم متعة حيث تتبلور شخصيتهم بمجرد حمل البارودة.. أما بالنسبة للنساء فإنهن أسوأ من الشباب وحزب الله الآن يدرب الفتيات.

اندريه يونس المقاتل في حزب الكتائب اللبنانية إبان الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥ لا يتذكر منها سوى الأسى والمرارة والعنفوان. عاد اندريه بذاكرته إلى عقود من السنوات ليقول: عندما بدأت الحرب عام ١٩٧٥ اختبأ الناس في الملاجىء بعد ان دخل جيش التحرير الفلسطيني الى كاليري زعتر في عين الرمانة، فخرج أبناء المنطقة للقتال.

ويعلق اندريه على الوضع القائم قائلاً: كنت في الكتائب والآن في القوات، أخاف من تجدد الحرب الأهلية ولكن من سيكون ضد من فهذه الحرب لا مبدأ لها، فلو دافع حينها الجيش عنا لما نزلنا إلى الطريق لذلك نحن بحاجة إلى جيش.. ومن الصعب جداً أن أحمل البارودة الآن.

وبما ان اندريه خسر الكثير في تلك الحرب فأصبح اخوته الثلاثة معاقين وأصيبت عينه وأذنه وقدماه واستعان بشرايين بلاستيكية للتمكن من المشي، فإنه يتمنى أن لا تعود مجدداً.

ويختم بالقول: حاربت في يوم من الأيام لأدافع عن حزب الله وأمل وأحترم شباب الحزب وأجلهم ولكنهم يتهموننا بالإسرائيليين مع العلم ان الشر كان يضربهم في الجنوب أيضاً.

ميساء، طارق ولينا هم من الجيل الصاعد الذي سمع ويسمع عن الحرب التي حلت بلبنان منذ ٣٢ عاماً ويتمنون ان لا تتكرر تلك الحرب التي أخذت البلد إلى حائط مسدود مع العلم ان بوادر الحرب قائمة وفتيل الأزمة على وشك أن يشتعل.

أما حسن فيستبعد حصول الحرب وهو لا يشعر بالخوف خصوصاً ان الشعب اللبناني بات أكثر وعياً من قبل ويعيش بمحبة ويوماً بعد يوم فإن اللحمة تترسخ بين الطوائف في ظل الانقسام السياسي وليس المذهبي.

تحقيق: فاطمة فصاعي

▪ المقاتل جورج نصرالله:
لن أعود إلى الحرب
▪ الصحافي المحارب بلال خبيز:
الحرب تعيدنا إلى الكهوف
▪ المقاتل اندريه يونس:
الحرب لا مبدأ لها وخسرت فيها الكثير